شيئاً في حياة الامم — ان هناك امة عربية ذات كيان يذكر لا يقل عن كيان الطليان والالمان او اليابان والاميركان والامر ينحصر بتكوين الوطنيات بالقلوب واحياء ما تدثر من القوات بضم شملها بعد الشتات ولا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والآداب وتذكير الابناء بما فعل الآباء والا فتبقى هذه الامة الكثيرة العدد الضاربة في البقاع والاصقاع امام المدنية الغربية اقرب الى الاضمحلال منها الى البقاء ومتى أزمن مرضها يتعذر برؤها . سبحان من يحيي العظام وهي رميم

# العفة

## وتمدح العرب بها

العفة خلق يعصم صاحبه عن تناول ما لا يحل . فاذا عرض له ما يحرم . اوسنحت له شهوة محظورة حال هذا الخلق الكريم بينه وبين التلوث بها . واذا طلب استعمال كلمة «العفة» فاني تجنب قاذورة الزنى ومن اكرمه الله عن هذه القاذورة كان في منجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . ويكفي الزاني خزياً في دنياه ان يكون محتقراً في ذويه معرضاً للعاهات والامراض الخبيثة . وان يصبح قدوة سيئة لأهله وولده في سلوك هذا الطريق المشؤوم . واني اعرف رجلاً ابتلي بهذه الرذيلة فكان له في كل يوم خليلة يختلف اليها . وينفق من رزق عياله عليها . وكان له زوجة واولاد فلم يكن امره ليخفى عليهم مهما بالغ في الكتم . ولما بلغ اكبر اولاده سن الرشد مال الى هذا المنكر وتمادى في حب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في تطلب القينات . وتعشقهن . والانفاق عليهن .

وكيف يكون موقف الاب اذا عنف ابنه على هذا؟ أتراه يقدر على كبح جماحه وارجاعه عن غيه . واقناعه ان ما هو فيه يؤدي الى قبح الاحدوثة . وضياع الشرف . وخسار الصحة . وعذاب الآخرة . واذا صح له ان يقول مثل هذا القول ماذا يكون جواب ابنه له يا ترى؟ وفي مثل هذه القصة قال الشاعر في المثل السائر :

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

وقديماً ما تمدح العرب بالتحلي بالعفة . والابتعاد عن الخبث وقاذورة الفجور . بل تجنب كل ما يلحق بهم سبة . ويدعو الى الملامة . فكان احدهم لا يزور امرأة جاره في غيبة زوجها أنفاً وتكرماً .

وإذا كان جواداً مثل حاتم الطائي . وكان له جار بادي الخصاصة . احتال في ارفاد زوجته اثناء غيبته من دون ان يراها او يدخل بيتها وقد دل حاتم على خلقه هذا في قوله :

وما تشتكيني جارتي غير انني     اذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها     اليها ولم تسبل علي ستورها

قوله وما ( تشتكيني ) اي لا يمكنها ان تشكوني الى نساء الحي فتقول : ان حاتماً بخل علي . ومنع عني معروفه . في غياب زوجي . لا تقول ذلك لاني كنت لا اقصر في فعل كل ما يتم عيشها . ويكفي حاجتها . الا الزيارة فاني كنت ادعها مدة غياب زوجها . وقوله ( سيبلغها خيري ) اي يصل اليها معروفي ورفدي ولا ازال كذلك حتى يرجع زوجها من دون ان ادخل خدرها . وتسبل علي ستورها .

وقال حاتم ايضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة     واليه قبلي تنزل القدر

يقول ان جاري لا يبصر ناراً لنفسه وانما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته مما يطبخ عليها بل ان القدر تنزل عن النار وتقدم اليه ليتناول منها حاجته قبلي

ما ضر جاراً لي اجاوره     الا يكون لبابه ستر

لا ابالي ان لا تكون ستارة على باب بيت جاري . وذلك لاني عفيف العين فلا اخشى على نفسي التطلع الى داخل البيت . والنظر الى النساء اللاتي فيه .

اعشو اذا ما جارتي برزت     حتى يواري جارتي الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه الى حاتم : فيقال له احسنت اذ لم ترسل نظراتك الطائشة من خلال الستور الى نساء جارك ولكن كيف تصنع اذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين الطرق والبيوت فقال اني اذ ذاك ( اعشو ) اي اغض عيني او اغمضها فلا اعود ابصرها حتى تدخل خدرها . وتتوارى فيه . واصل ( العشى ) مقصور من دون همز — ان يضعف بصر المرء فلا يعود يبصر في الليل . وان كان يقدر على الابصار في النهار . والوصف منه اعشى . وبه سمي الشاعر المشهور « والناقة العشواء » التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء يعترضها . وتتعسف الطرق على غير هدى . ومن المثل فلان يخبط خبط عشواء .

وقد تجوز عنترة فاستعمل « العشى » هنا بمعنى غض العين • او تخزير الجفن بحيث لا يعود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر •

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلا في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء يجدر بنا ان نحفظه • ونحتذي مثاله • فلا نتعرض الى النساء الاجنبيات • ولا نسارقهن النظرات الخائنات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

وانى لعف عن زيارة جارتي ... واني لمشنوء الي اغتيابها

(مشنوء) مبغض مكروه • يقول انه يكره ان يزورها لئلا يساء به الظن فيهما • كما يكره ان يغتابها لئلا يقال انه نزل لمنافسة النسوان •

اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها ... زواراً ولم تنبح علي كلابها

« زوار » على وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهن ومجالستهن « زير » وبه سمي المهلهل اخو كليب « الزير » ويقال فلان « زير نساء » اذا كان مولعاً بمجالستهن وتحديثهن

وما انا بالداري احاديث بيتها ... ولا عالم من اي حوك ثيابها

« حوك » مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء يعمل على تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن ويدري ما اذا جرى بينها وبين جارتها او خادمتها • واذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه • وقد يستخبر منها عن نسيج ثوبها • ومن اي صنف او جنس هو • ومن اين اشترته • وعند اية خياطة خاطته — كل هذه الاسئلة لاجل ان يكون له مادة للحديث يشغلها به حينما يزورها او يحادثها • فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلهم • فهو ينفي عن نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشتغل بالنساء اشتغالهم •

ومثله في ذلك عقيل بن علفة المري الذي يقول من ابيات :

ولست بسائل جارات بيتي ... اغياب رجالك ام حضور

(غياب) جمع غائب • وقوله ( رجالك ) اصله ( رجالكن ) بالنون لان الخطاب للجارات وهن جمع • ولكن هذا الحذف او الخطاب بالمفرد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لا يسأل هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن • او انه لا يسألهن اياه ارادة الدخول عليهن • وقضاء لبانة منهن

ولست بصادر عن بيت جاري    صدور العير غمّره الورود

( العير ) حمار الوحش . ووروده مجيئه الماء يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه بعد شربه منه . و ( غمّره ) بتشديد الميم من التغمير . وهو ان يرد حمار الوحش الماء ويشرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له في الماء فيرجع نفوراً غير متلبث وبه الى الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العودة .

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الريبة . وارده كما يرد عير الوحش منهل الماء . حتى اذا ظننت بان الجار في البيت صدرت ورجعت مسرعاً كما يفعل عير الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل مغمّراً تغميراً . وهو شديد الظمأ اليه .

ولا ملقٍ لذي الودعات سوطي    الاعبه وربّته اريد

( ذو الودعات ) هو الصبي الصغير الذي يعلقون عليه الودع خشية العين ومس الجن . وقوله ( ربّة ) تأنيث ( رب ) وضميره يرجع لذي الودعات . وهي مربية امره : لانها تربه وتملك امره وتصلح من شأنه . حتى يبلغ كماله . والتربية مأخوذة من هذه المادة .

وقد زاد الشاعر المعنى تمّ بقوله الشطر السابق : فهو يقول انه ليس بالوضيع الذي يتوصل الى مغازلة النساء ومحادثتهن بمداعبة الاطفال وملاعبتهم . فاذا رأى طفلاً مع امرأة حسناء او خادمة وصيفة القى الى طفلها سوطاً او سبحته او سيكارته يظهر من نفسه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم . والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد صاحبة الطفل . ويرمي بها السوء .

وصاحب هذه الابيات يظهر ان فلانا يريد التعريض بعدو منافس له : كأنه يقول اني لا احتمل لامثال هذه الشناعات وانما ذلك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك .

ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان ألثمهم    والامر قد يغزى به الامر

( يغزى ) من غزا قصده . ومنه غزو العدو . لان الغازي يقصدهم في مواضعهم . ومنه ايضاً مغزى الكلام . و ( مغزى ) القصة اي المعنى المقصود منها . فلثم الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر . وهو تجميش المرأة والتحكك بحسنها وجمالها . وشكلها ودلالها .

ولا نريد بـ « الشكل » هنا الهيئة والصورة وانما هو بمعنى الغنج والدلال وشبههما تغنج وتكسر · شكلت المرأة كفرحت فهي شكلة ·

اما « التحميش » فلا ابيح لنفسي التصريح باصل اشتقاقه · وانما اكتفي بتفسيره بالمغازلة ·

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من غزل القطن والصوف · وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم · لان الزير يجلس الى المرأة وهي تغزل فقد يساعدها بالغزل او بحل الخيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد ان تنسج به مثلا ويكون الزير بعمله هذا كأنه شاركها في الغزل · ولذلك جاء فعلها ( مغازلة ) على بناء المشاركة · ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احاديث اخرى يعلمها الازيار · ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم ·

وزان بحب الزنا مغرم  اماط رداء الحيا واطرح
يقبل اولادهن المغفل  ومن عشق الدن باس القدح
المغربي

# اخبار وافكار

## الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناشئة الامة وبث روح العلم والفضيلة في النفوس واشهرها فيما نرى جمعية ثمرة التربية والمقاصد الخيرية في بيروت والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية في تونس · وصلنا الآن الخطاب السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي لانتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لا تسمو كلمة الامة ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا تألفت في العالم المتمدن الشركات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً واحساساً · ورغبة في الحصول على هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية فوفقوا لتأسيس الجمعية الخلدونية الجليلة التي مضى عليها الآن مدة تناهز اربعة عشر عاماً لم تزل في غضونها دائبة على القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم